Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالجبن ، لأن ذلك لا يخدم هدفه من إثارة الأمير ودفعه إلى نصرة الأندلسيين ، ولأن بلنسية لم تكن سقطت بعد فى يد الكاثوليك .

وزاد على سابقيه ففصل ما أجملوا ، ولم يقنع بالحديث عن المساجد التى أصبحت كنائس ، وإنما تحدث عن الأجراس التى خلفت دقاتها فى المساجد أصوات المؤذنين ، ونعى — وهو الأديب الشاعر — حلق العلم التى توقفت فيها ، وكانت عامرة بالشيوخ والطلاب ، وتشير قصيدته إلى معنى جديد هو تأكيد وشائج القربى والتضامن بين الأندلس والمغرب ، وحق المستضيم منهما أن يطلب العون من الآخر كلما ضيم أو حاق به الخطر .

ومن القصيدة كلها يبدو الجزء الخاص بمدح الأمير الحفصى — ويشغل من أبياتها الثلث تقريبًا — حافلاً بالصناعة ، واضح التكلف ، لا ينبض بأية أحاسيس حقه أو مشاعر صادقة ، وما كان يتأتى لابن الأبار أن يسلك غير هذا النهج ، فهو غريب عن تونس ، قليل العلم بأحوال أميرها ، لا يعرف من أمره شيئًا ، ولا يربطه به من الود والأحداث ما يثير ويلهم ، ولم يكن وراء رحلته مطامع شخصية تعود عليه بالنفع وتسوق إليه شياطين الشعر ، وإنما كان رسول وطنه أجاد فى تصوير حاله ومأساته ، فلما تجاوزها إلى الأمير قال عنه ما يمكن أن يقوله أى شاعر عن أى أمير ، فهو طلق المحيا ، ماضى العزيمة ، كأنه البدر ، عادل ، محسن ، مبارك هديه ، نوّر الله بالتقوى بصيرته ، وطهر سيفه ، وصاغ من ساطع النور جوهره . ولعل ابن الأبار عبر البحر طالبًا النجدة وهو كاره فى دخيلة نفسه ، لأن هذه الفترة من حياة الأندلس كانت قمة ازدهاره الثقافى والعلمى ، فامتلأ الأندلسيون بها زهوًا وأنفة وتكبرًا ، وأحسوا أنهم أعلم من غيرهم وأقدر ، وأولى بالتكريم ، وأجدر بالعون من غير طلب له ولا إلحاح فيه .

هزت قصيدة ابن الأبار من الأمير عطفه ، وحركت جنانه ، ولشغفه بها وموقعها من نفسه أمر شعراءه بمجاوبتها ، وحقق ابن الأبار هدفه من إنشادها ، فقد تحمس الأمير الحفصى لمعاونة شركائه فى الدين ، فأرسل إلى بلنسية أسطولا مشحونًا بالمال والعتاد والأقوات ، ووصل الأسطول أثناء حصار المدينة ، فحاول النزول فى « جراو » ، موضع قريب من بلنسية ، فى الرابع من محرم عام ٦٣٦ هـ = ١٨ من أغسطس ١٢٣٨ م ، ولكنه